مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 10 عدد: 1 السنة: 2021
ص: 1040 - 1052 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

واقع اللغة العربية بين أبنائها: الأسباب والحلول

The Reality of the Arabic Language among its Speakers -Causes and Solutions -

سميرة بن موسى *

Samira Benmoussa

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية – وحدة ورقلة (الجزائر)

CRSTDLA. Unit of Ouargla- Algeria

Sbenmoussa72@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/11/04	تاريخ القبول:2020/12/07	تاريخ النشر: 2021/03/30

ملخص البحث

اللغة العربية هي رمز الهوية العربية والإسلامية، ووسيلة من وسائل التواصل، وعامل رئيس في بناء الشخصية الفردية والجماعية للأمة.

وفي الموضوع حديث عن اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، وعن واقعها بين أبنائها في عصر باتت تتجدد فيه المعلومات وتتسابق. وهو محاولة لتحديد أهم أسباب تراجع اللغة العربية واقتراح مجموعة من الحلول يمكنها أن تسهم في النهوض بها من جديد.

الكلمات المفتاح : لغة عربية؛ عصر المعلومات؛ هوية.

Abstract :

The Arabic language is a symbol of Arab and Islamic identity, a means of communication, and a key factor in building the individual and collective personality of the nation. In this study, there is talk about the Arabic language and its position among languages and its reality among its users in this era. It is an attempt to identify the most important reasons for the retreat of the Arabic language and to suggest solutions that could contribute to its revival.

Keywords: Arabic; the information age; identity

* سميرة بن موسى: sbenmoussa72@gmail.com

مقدمة:

اللغة هي الوعاء الذي يحمل ثقافة وتاريخ وحضارة وهوية وعلوم المجتمعات والأمم، فتطور اللغات ورقيها ينطلق من تطور الأمة وتمكنها من العلوم والتكنولوجيات الحديثة، والأمة المنتجة للعلوم هي التي سيُكتَبُ للغتها الانتشار والشيوع وخير دليل على ذلك ما تعرِفه اللغة الإنجليزية اليوم من ذيوع واسع في كافة أرجاء العالم، وعلى النقيض من ذلك تعرف اللغة العربية على غرار العديد من اللغات الأخرى انحصارا في الاستعمال بسبب ضعف المحتوى العربي في العلوم الجديدة، بالإضافة إلى أسباب عديدة سنحاول هنا أن نفصل في أهمها، سعيا في الإجابة عن الإشكالية المطروحة والمتمثلة في: ما هي أهم الأسباب التي أدت إلى تراجع استعمال اللغة العربية ورسمت واقعا وأزمة تعيشها بين أبنائها ؟ وما هي أهم الحلول للخروج من هذه الأزمة ؟

والهدف من هذه الدراسة هو التعرّف على أهم الأسباب لتلافيها، وكذا وضع اليد على أهم الحلول لانتهاجها والأخذ بها. وللوصول إلى تحقيق هذا الهدف استندنا إلى المنهج الوصفي لمناسبته لطبيعة البحث.

1- حدّ اللغة:

اللغة ظاهرة طبيعية أرساها الخالق في الإنسان دون سائر مخلوقاته، وهي ظاهرة اجتماعية عُرفت منذ أن نشأ المجتمع البشري وظهرت حاجة الإنسان إلى التواصل مع غيره، فبدأ استخدامه للغة بشكلها المنطوق، وبسببها «بدأ التاريخ الإنساني وبدأت الثقافة الإنسانية»[1]، فاللغة المنطوقة رافقت الإنسان منذ وجوده، ويعتبر الشكل المنطوق للغة هو الأصل، أما اللغة المكتوبة فقد ظهرت بعدما استقر الإنسان وفكّر في بناء حضارة؛ فاخترع رموزا استخدمها لتدوين أفكاره ولغته المنطوقة.

عرّفها ابن جني بأنّها نظام من الأصوات في قوله:« أما حدها فإنّها أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم»[2]؛ فهي قبل كل شيء نظام «وإن فقدت ذلك النظام لا يكتب لها صفة الدوام، فتتعرّض للتحريف، والنظام سنة من سنن اللغات»،[3] وبالأنظمة تتمايز اللغات عن بعضها البعض، فلكل لغة نظامها الخاص الذي يميزها عن غيرها، ويجعلها لغة قائمة بذاتها.

واللغة أيضا هي: «نظام صوتي، ورمزي، ودلالي، تستخدمه الجماعة في التفكير والتعبير والاتصال»[4]، فهي تمثل مجموعة من القوانين متفق عليها فطريا بين أفراد المجتمع اللغوي المتجانس،

تتشكل من أصوات، وتعتمد على الترميز في وضع دال لكل مدلول، كما أنّ معانيها واحدة بين أفراد المجتمع الواحد.

وهي« قدرة ذهنية تتكون من مجموع المعارف اللغوية بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد التي تنظمها جميعا، تتولد وتنمو في ذهن الفرد ناطق اللغة ومستعملها، فتمكّنه من إنتاج عبارات لغته كلاما وكتابة، كما تمكّنه من فهم مضامين ما ينتجه أفراد مجموعته من هذه العبارات»[5]، فاللغة إذن منبعها الفكر ومظاهرها الأصوات والمفردات والمعاني، وهي ذات طبيعة اجتماعية تبدأ داخل الجماعة وتنمو بين أفرادها.

ومن أهم الأدوار التي تؤديها اللغة أنّها تمثل عنصرا مهما من عناصر بناء الحضارات، وإحدى أهم مقومات بناء الإنسان، «فما بنيناه من حضارة، وثقافة، وتقدم علمي، كان مستحيلا بدونها، فاللغة من أهمّ النظم الحضارية التي تجعل الإنسان إنسانا»[6]، فاللغة إذن تستحق الاهتمام الشديد لما تمثّله من دور مهم في بناء حياة الإنسان، فهي «ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية التي تستقر وتستقيم بها حياة الفرد».[7]

وإضافة إلى كل ما سبق تُعدّ اللغة ميدانا خصبا للدراسة اهتم به الإنسان بعد أن قطع أشواطا طويلة في التقدم العلمي في جميع المجالات. فدرسها علماء الاجتماع كظاهرة اجتماعية، ودرسها علماء النفس كوسيلة للتعبير عما تحمله النفس البشرية من أسرار ومكنونات، ودرسها اللغويون «في ضوء الحياة الاجتماعية، فظهر لهم بوضوح دور اللغة في تشكيل المجتمع وتنظيمه، فتناولوها بالدراسة العلمية القائمة على تحليل عناصرها، ووصفها للتوصيل إلى معرفة حقيقتها وطبيعتها ووظيفتها، كما تناولوها بالدراسة، دراسة تأريخها وحياتها وما يصيبها في أثناء سيرها من تغير، أي أنّهم تناولوا بالدراسة كل ما يتصل باللغة مؤثرا فيها أو متأثرا بها»[8] وبذلك عُدّت اللغة مادة دسمة صالحة لأن تكون مجالا واسعا للدراسة من جهات عديدة وفي مجالات مختلفة.

2- مكانة اللغة العربية بين اللغات:

اللغة العربية هي إحدى لغات العالم، تزخر بتاريخ عريق وتراث ضخم، وهي أشرف اللغات وأعلاها مرتبة، وكيف لا؟! وهي اللغة التي حوت كلام الله – عز وجل- وكانت وعاءً لآخر الكتب السماوية، فهي لغة مقدسة قداسة القرآن الكريم، وهي لغة عظيمة عظمة الإسلام.

وقد ذكر الله تعالى اللغة العربية في آيات كثيرة منها: قوله تعالى﴿**إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[الزخرف الآية3]، وقوله﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[الشعراء الآيات193-195]، وقوله ﴿**قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الزمر الآية 28].

وهاهو **الثعالبي** في كتابه "فقه اللغة وسر العربية" يربط بين حبّ الله ونبيه (صلى الله عليه وسلم) وحبّ العرب والعربية، ويجعل الإقبال على اللغة العربية لتفهّمها وتعلّمها من الديانة، فيقول: «إن من أحبّ الله تعالى أحبّ المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ومن أحبّ النبي العربي أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربية عُني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها»[9]، ويضيف قائلا أنّ من هداه الله للإسلام اعتقد أنّ«العربية خير اللغات والألسنة. والإقبال على تفهمها، من الديانة؛ إذ هي أداة العلم. ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد».[10] وهي ليست كغيرها من اللغات فهي ليست مجرد وسيلة يستخدمها العربي للتواصل مع أبناء مجتمعه، بل هي إضافة إلى ذلك لغة خرجت من القومية العربية إلى العالمية، فهي ليست لغة العرب لوحدهم إنّما هي لغة المسلمين جميعا، فالقرآن لا يمكن فهمه فهما دقيقا إلّا بمعرفة اللغة العربية معرفة واسعة وشاملة لنحوها وصرفها وبلاغتها وأساليبها.كما أنّها اللغة الوحيدة التي استطاعت أن تحافظ على قواعدها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، رغم أنّ «تطور اللغات الحية يقضي باندراس بعضها وبظهور أنماط متجددة منها في الألفاظ والتراكيب، وصيغ النطق. والعربية على عكس هذا، فالعربية لغة احتمت بالقرآن المجيد فحُفظت بحفظه، واستمسكت بالخطاب النبوي، فبقيت خالدة بخلود الشريعة الإسلامية»[11]، قال الله تعالى في محكم آياته:﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا**

﴿لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر9]، وهو وعد من الله بحفظ القرآن الكريم، وبحفظه تُحفظ اللغة العربية، فاللغة العربية باقية بقاء القرآن الكريم.

وهي لغة واسعة وغنية فقد« حملت آدابنا واستوعبت علوم حضارتنا»[12]وضخامة الموروث الفكري والأدبي والثقافي والعلمي والحضاري خير دليل على ذلك، فقد كتب الشعراء والأدباء والرحالة والأطباء وعلماء الفلك والرياضيات وغيرهم باللغة العربية، وكانت ولمدة قرون خلت لغة الفكر والحضارة، فأكدت بحق أنّها «إحدى أهم المناهج الفكرية التّي تمكن الإنسان المسلم من عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله».[13]

وهي ركن ثابت من أركان شخصيتنا وهويتنا الإسلامية لكونها لغة القرآن الكريم ولغة الحديث الشريف، وركن ثابت أيضا من أركان هويتنا العربية لكونها لغة التراث ولغة التواصل واللغة الرسمية في الدول العربية، وهي ركن من أركان شخصيتنا الوطنية كونها تمثل في الجزائر اللغة الرسمية الأولى ولغة الإعلام والاتصال والتعليم.

3- واقع اللغة العربية:

ما سبق يعكس مقام اللغة العربية ومكانتها العالية، لكننا نلحظ اليوم عكس ذلك المقام ونقيض تلك المكانة، فهي اليوم تعاني الضعف والتراجع في أوساط مجتمعاتنا العربية بين أبنائها الذين باتوا ينعتونها بالتخلف والتحجر والجمود. والحقيقة إنّها لا تعيش أزمة ولا تعرف تراجعا أو انحطاطا، إنّما الأزمة يعيشها أبناء العربية، فمحنة العربية الحقيقية « تتمثل في انهزام أبنائها نفسيا أمام الزحف اللغوي الداهم واستسلامهم – في مجال العلوم بالذات– للغات الأجنبية»،[14] ولعلّ التطور التكنولوجي الهائل للغرب في عصر العولمة وما أفرزه هذا التطور من كمٍّ ضخمٍ من الألفاظ والمصطلحات الجديدة جعل الفرد العربي يشعر بعقدة النقص وسيطرة الأجنبي، وتُعد هذه الأسباب « من أهم العوامل التي أدت إلى ضعف شخصية الفرد العربي واستسلامه للهزيمة، والانتقاص من شأن لغته الأم»،[15] فالعيب إذا ليس في اللغة العربية فهي لغة قوية ومتينة إنّما العيب في أبنائها «الذين انبهروا بالعولمة الزائفة والتي دفعت بهم إلى الانسلاخ من هويتهم، والتّنكر لثوابت أمتهم، واحتقار كل ما هو عربي أصيل»[16]، وكانت اللغة العربية ممّا احتقره أبناء العربية، فكيف لنا بعد هذا أن نطلب من مجتمع مستسلم لسيطرة الأجنبي النهوض بلغته؟ والمعروف أنّ

« قوة اللغة مستمدة من قوة أهلها، لأنّ اللغة تقوى وتزدهر وتنتشر، بقدر ما تتقوّى الأمة التي تنتسب إليها»[17]، والدليل على ذلك اللغة الإنجليزية، لغة العلم والمعرفة، لغة قوية ومزدهرة، منتشرة في أنحاء العالم، لغة استمدت قوتها من قوة أهلها وسيطرتهم في المجال العلمي والتكنولوجي.

أما عن الجوانب الحقيقية لضعف اللغة العربية وتراجعها ، فيرى "**وافي صلاح الدين حاج ماجد**" أنّ« المكمن الحقيقي للداء في واقعنا اللغوي المعاصر وثقافتنا العربية الحديثة يتمثل في غربة اللغة العربية بين أبنائها والفجوة الكبرى بينهم وبين علومها الأدبية واللغوية. وفي انحطاط الأداء اللغوي العام بين العامة والخاصة، في المستويات الثلاثة: الرسمي والثقافي والشعبي، وفي مجالات وحقول شتى»[18]، وهو بهذا يعتبر بعض الظواهر التي نراها من مظاهر الضعف والتراجع كاللحن وانتشار العامية وكثرة الدخيل ظواهر سلبية قد تعتري ألسنة المتكلمين باللغة العربية لكنّها لا تمثل الجوانب الحقيقية للضعف والتراجع؛ لأنّ هذه الظواهر قد شاعت وتشيع في عصور وأزمنة مختلفة فهي ظواهر عاشتها المجتمعات السابقة حيث كانت اللغة العربية في أوج قوتها، ونعيشها اليوم واللغة العربية تعاني الضعف والوهن.

أما عن أسباب الضعف والتراجع فيمكننا أن نصنفها إلى صنفين: أسباب واقعية أو حقيقة موجودة على أرض الواقع، وأسباب وهمية أو مصطنعة توهمها ذوو النفوس الضعيفة والمنهزمة ليبرروا ضعفهم وتراجعهم، وفي ما يلي تفصيل لكل صنف.

أ– الأسباب الواقعية:

– التخلف العلمي والتكنولوجي لأبناء العربية: وما نتج عنه من سيطرة أجنبية فكرية وثقافية وحضارية، ومن المعروف أنّ حياة اللغة ونهضتها مرتبط بحياة مستعمليها فقوتها من قوتهم وضعفها من ضعفهم، وما واقع اللغة العربية إلّا انعكاسا لحال الأمة العربية والإسلامية، فحينما سطعت أنوار الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى كانت اللغة العربية هي اللغة العالمية الأولى، وبعدما أفل نور الأمة الإسلامية ووهنت تراجع استعمال اللغة العربية؛ فالوضع الذي يعيشه أبناء العربية اليوم ترتّب عليه ضعف اللغة وتراجعها وعدم قدرتها على فرض وجودها في الساحة اللغوية العالمية.

– واقع اللغة العربية في المدارس والجامعات: بكلّ ما يحمله هذا الواقع من مشكلات وصعوبات، رغم الإصلاحات الكثيرة التي دخلت وما زالت تدخل بين الفينة

والأخرى، والحديث عن واقع اللغة العربية يتطلّب منّا النظر إلى كل عناصر تعليمية اللغة العربية بداية من سياسة التخطيط، وما يعتريها – وأقل ما يقال هنا أنّ« أمتنا تفتقد إجمالا خطة لغوية، وتفتقد أيضا إلى سلطة لغوية».[19]– ومرورا بالمناهج التعليمية وما تحمله من هشاشة في التصميم وضعف في التطبيق سواء تعلق الأمر بالمناهج الدراسية المقدمة للمتعلمين أو مناهج إعداد المعلمين. ووصولا إلى المتعلم وما يعانيه من ضعف لغوي يلازمه من الطور الابتدائي إلى الجامعي.

وحديثنا هذا لا يعني أنّه لا وجود لنقاط القوة في هذا الواقع اللغوي، لكنها تبقى قليلة مقارنة بنقاط الضعف، وتبقى الجهود الجادة الرامية إلى تحسين هذا الوضع مشتتة أو حبيسة أوراق البحوث العلمية والأكاديمية تنتظر الفرج والتطبيق على أرض الواقع، فتغيير هذا الوضع والنهوض باللغة العربية يتطلب تضافر الجهود ويحتاج إلى رغبة صادقة فقد« أثبتت التجارب التي مر بها هذا القرن العشرون أنّ الخطط العلمية لإحياء لغة ما ونشرها لابد أن تصحبها (إرادة) صادقة وعزيمة راسخة وإصرار لا يلين»[20].

– **منافسة اللغات الأجنبية للغة العربية**: وهذا لسببين، أولهما: الاستعمار وسعيه إلى هدم اللغة العربية وتدميرها وإحلال لغته في كل بلد يسيطر عليه، وخير دليل على ذلك ما فعلته فرنسا في الجزائر وبالجزائريين، أين سعت بكل ما أوتيت من قوة إلى نشر اللغة الفرنسية وقتل اللغة العربية الفصحى، ففرضت الحصار على كل من سولت له نفسه التعلم أو التعليم باللغة العربية. «وقد تحرر الشعب الجزائري من الحكم الأجنبي ولكنه بقي مقيدا بأغلال الاستعمار الفكري»،[21] وبقيت اللغة الفرنسية تنافس اللغة العربية وتزاحمها على ألسنة المتكلمين وفي المناهج الدراسية.

أما السبب الآخر فيعود إلى العولمة وما نتج عنها من « دخول الكثير من الألفاظ الأجنبية إلى استعمالاتنا اللغوية، وبات كثير من الناس يستخدمون كلمات أجنبية نتيجة عقدة نقص؛ لأنهم حسبوا أنّ من يتكلّم الأجنبية أعلى مستوى من غيره»[22]، ممّا أدى إلى« التراجع الخطير في نسبة استعمال اللغة العربية مع ظهور الثورة الرقمية والعلمية المتقدمة»[23]، وبذلك وجدت اللغة العربية نفسها تعيش في دارها وبين أبنائها منافسة شرسة مع لغات أجنبية خاصة اللغة الإنجليزية التي باتت اللغة الأولى في عصر العولمة.

– **طغيان العامية على اللغة العربية الفصحى**: فالعامية اليوم هي لغة التعامل اليومي، أما اللغة العربية الفصحى فهي لغة الرسميات والمحافل الأدبية ولغة التعليم في المدارس.

وانتشار العامية وطغيانها على العربية الفصحى له أسباب عديدة، لعل من أبرزها إغفال العامية الإعراب وميلها إلى تسكين أواخر الكلمات، والإعراب أهم سمة من سمات اللغة العربية والذي يستصعبه المتكلم العربي فتجده يميل إلى استعمال العامية. ولذلك نجد الكثير من الخائنين للإسلام وللغة العربية يدعون إلى العامية وترك الإعراب، وهذه الدعوة تهدف إلى« تقويض دعائم اللغة الفصحى وإزالة ركن قوي من أركان المقومات الأساسية للعرب والإسلام»[24]، والحمد لله أنّ هناك من الغيورين على اللغة العربية من تصدى لهذه الدعوة، ومنهم **عباس حسن** الذي يقول عن الدعوة إلى العامية وترك الإعراب:« ولست أعرف دعوة أثيمة أبعد من الحق وأجلب للخطر والضرر على البلاد العربية من الدعوة إلى الإلحاد اللغوي، والمروق إلى حدود الفصحى، والعبث بمقدساتها»[25].

ووجود العامية إلى جانب العربية الفصحى أو ما يسمى بالثنائية اللغوية له آثار سلبية على تعليمية اللغة العربية الفصحى، لما تحدثه هذه الظاهرة من تداخل لغوي يجعل من عملية اكتساب اللغة العربية الفصحى عملية صعبة.

ب– الأسباب الوهمية:

– اتهام العربية بالقصور: وهو اتهام باطل لا أساس له من الصحة، فكيف للغة كانت وعاءً لخير كلام –كلام الله عز وجل الذي جمع كل ما يخصّ الإنسان في دينه ودنياه– أن تكون قاصرة؟!

إضافة إلى ذلك« اللغة العربية لغة مرنة، ويظهر ذلك من طواعية الألفاظ للدلالة على المعاني، وطواعية العربية تتمثل أكثر ما تتمثل في ظاهرتي الترادف والاشتقاق بصفة خاصة، وفي قدرتها على استيعاب المولد والمعرب والدخيل بصفة عامة»،[26] فاللغة العربية صالحة لكل زمان، استوعبت القرآن الكريم والحديث الشريف، واستوعبت العلوم والآداب والفنون قديما وما زالت قادرة على استيعابها الآن. إلّا أنّ المذهولين بالحضارة الغربية وما ذرّته عليهم من تكنولوجيا وحداثة يرون أنّ اللّغة العربية غير قادرة على تحمل السيل العارم من الألفاظ التي أفرزتها ومازالت تفرزها الحضارة المعاصرة.

– اتهام النحو العربي بالجمود والموت: وفي الحقيقة «النحو العربي لم يمت ولن يموت، وسيبقى بقاء القرآن الكريم، ... وإذا كانت العقول قد قصرت عن إدراك هذه القواعد،

وإذا كانت الألسنة قد عجزت عن تطبيقها على الواقع اللغوي نتيجة البعد عن النصوص العربية الفصيحة الراقية. فلا يعني هذا موت النحو...، بل يجب علينا أن نرقى بلغتنا حتى نصل إلى المستوى الذي كانت عليه، دون أن نغفل حركات التجديد والتطور في أنماط التعبير، ولكن بشرط أن ندافع عن لغتنا ضد أي تيار أجنبي يغزو قواعدها ونظامها»،[27] فاتهام النحو العربي بالموت والجمود جاء نتيجة ابتعاد الفرد العربي عن النصوص العربية الفصيحة، والهوة التي نتجت عن ذلك بينه وبين القواعد النحوية، والاتهام بالموت دعوة هدفها القضاء على النحو والقضاء على العربية.

4- الحلول المقترحة:

إنّ الوضع اللغوي وما آلت إليه اللغة العربية يستدعي منّا التفكير في إيجاد حلول للنهوض بها من جديد، «فالإصلاح اللغوي أصبح الآن أمرا ملحا أكثر من أي وقت مضى، شريطة أن ينطلق هذا الإصلاح من مواكبة اللحظة الراهن دون الارتداد إلى ماض بعيد، أو القفز إلى مستقبل مجهول»[28]، وهذا لأنّ المشكلات تختلف أسبابها من عصر إلى عصر والحلول أيضا تختلف من عصر إلى عصر، لذلك الإصلاح اللغوي يجب أن تصاغ طرائقه بعد دراسة مستفيضة للمشكلات الراهنة وأسبابها، ويتم باقتراح الحلول المناسبة لأفراد العصر بالنظر إلى خصائصهم، وإلى الظروف المحيطة بهم.

ومن أهم الحلول التي نرى أنّها قد تسهم في النهوض باللغة العربية نذكر الآتي:

- ضرورة الاعتزاز باللغة العربية: والاعتزاز لا يعني التّغني بعواطف جياشة تُظهر الانتماء للغة الضاد من أهلها ومحبيها، إنّما« الاعتزاز الذي ننشده وندعو إلى ترسيخه فكرا وممارسة هو ثقافة متكاملة الجوانب، لا تنحصر في الدائرة الضيقة للدلالة العاطفية للكلمة»[29]

فالأزمة التي تعيشها اللغة العربية اليوم هي أزمة في نفوس مستعمليها، لذا وجب علينا أن نعظّم العربية في نفوسنا، ويكفينا ليكون ذلك أن نتذكر دائما أنّها اللغة التي اختارها الله – عزّ وجل- لتكون لغة آخر كتبه.

إضافة إلى ذلك تُعدّ اللغة العربية عنوان هويتنا فهي «من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، وهي الأداة التي سجلت أفكارنا وأحاسيسنا، وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل، إنّما تمثل خصائص الأمة، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية والموجهين

لسفينتها»[30]، لذلك علينا أن نعتز بها وبكل فروعها، بحروفها وصيغها، وبتراكيبها ودلالاتها، وبفصاحتها وبلاغتها، وبماضيها المشرق وتراثها الضخم. والاعتزاز الحقيقي يظهر في ممارستها نطقا وكتابة دون عقدة نقص.

– **إثبات قدرة العربية على استيعاب الحضارة المعاصرة:** وهذا دور العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحوث ودور المجامع اللغوية العربية، إذ عليهم أن يثبتوا أنّ اللغة العربية قادرة على استيعاب الألفاظ والمصطلحات التي ولدتها الحضارة المعاصرة، وذلك بتنسيق الجهود بينهم في إدخال هذه المصطلحات إلى العربية وهذا ليس مستحيلا فاللغة العربية –كما سبق ذكره – لغة مرنة يمكنها أن تستوعب المعرب والدخيل.

– **الاهتمام بتعليمية اللغة العربية:** بداية بوضع الخطة اللغوية الواضحة والسليمة، والتي ستنعكس في بناء المناهج الدراسية فتكون مناهجَ رصينة، ولن يكون ذلك إلّا بالاعتماد على الأسس العلمية التي تنطلق من هوية الأمة (الإسلام والعروبة)، كما يجب الاهتمام بالمعلم بتكوينه تكوينا جيدا، وبالمتعلم بتوفير كل الظروف اللازمة ليتمّ اكتسابه اللغوي بطريقة جيدة وسليمة.

ولابد أن نشير هنا إلى نقطة مهمة وهي ضرورة تيسير تعليم فروع اللغة العربية وخاصة النحو بوصفه الفرع الذي يوصف بالصعوبة والتعقيد عادة « ويجب أن نقر بأنّه جاف، وصعب مرتقاه وصعب إعماله في الكلام، بعد أن تعود الناس إهماله، كما أنّ فلسفته لا تلائم كل الناس، ولذا وجب تسهيله من أجل فهمه وتوظيفه»،[31] فتقديم العربية للنشء بطريقة سهلة وواضحة تجعلها قريبة إلى قلوبهم فيقبلون نحوها يتداولونها ويستخدمونها دون عقبات من جهة، ويتدارسون علومها ويبحرون في أعماقها من جهة أخرى.

– **الاهتمام بلغة وسائل الإعلام:** تُعد وسائل الإعلام وما تُقدمه من برامج بالعامية أو بالعربية الإعلامية الهجينة والمختلطة بأساليب ليست أصيلة في اللغة العربية إحدى مسببات انتشار العامية، و«مواجهة العامية قضية قومية ينبغي أن يكون التصدي لها قائما على دراسات علمية تبحث الأسباب وتعالجها، وتضع خططا لإنهاء وضعها المأساوي بمشاركة فاعلة من كافة قطاعات المجتمع وليس الجهات المعنية بالتعليم فقط»[32]. وقطاع الإعلام من أهم القطاعات التي يمكنها أن تسهم في مواجهة العامية، لكونه وسيلة التواصل بين الناس ولأنّه الوسيلة الوحيدة التي تدخل البيوت في كل الأوقات، وتتصل بالأطفال والشباب والشيوخ، لذلك من الضروري

الاهتمام بلغة الإعلام باعتماد اللغة العربية الفصيحة الخفيفة والعفوية والتي يقول فيها عبد الرحمن الحاج صالح:« فإن نحن أردنا أن يقبل الناس على دراسة العربية فلابد من تشويقهم بتنبيههم على وجود مستوى من التعبير الفصيح لا يقلّ خفة وعفوية عن العامية أو اللغات الحية الأخرى التي يوجد فيها أيضا هذا النوع من التعبير الاقتصادي»[33].

– الاهتمام بالمفكرين والعلماء والمبدعين في كل المجالات:« لأنّ الفكر النابع من المجتمع نفسه يعطي اللغة اهتماما عظيما ويثريها ويقوي من مكانتها، فبروز المفكر بين أفراد المجتمع يدفع باللغة إلى الأمام، ويضيف لها هؤلاء معاني وألفاظا جديدة مما يساعدها على النمو والارتقاء بدل الذبول والتلاشي»، [34] فالاهتمام بالمفكرين والعلماء والمبدعين يدفع بعجلة التنمية إلى التطور والرقي. « واللغة إذا كانت تحيا بتركيبها، فإنها أيضا تحيا بأهلها، وتحظى بالذيوع والانتشار عندما يكونوا قد حققوا انجازات يُعتدّ بها في التطور الحضاري، وتكون سيدة اللغات حين يبلغ أهلها قمة السلم الحضاري في العالم»[35]، فإذا حقّق المفكر العربي إنجازات عظيمة سيعمل على نشر لغته وإعادتها إلى سابق عهدها حين كانت لغةً للعلم والمعرفة.

خاتمة:

هذه أهم الأسباب التي أدت إلى تراجع استعمال اللغة العربية بين أبنائها وكذا أهم الحلول المقترحة، وختاما نقول إنّ اللغة العربية تنتظر منا الكثير لذلك لابد من العمل الجاد والمستمر للسير بها قدما إلى مصاف اللغات العالمية المتميزة، والرجوع بها إلى مكانتها المرموقة في عصورها الذهبية.

هوامش

[1]– علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1420هـ/2000م، دط، ص:21.

[2]– ابن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، دت، دط، ج:1/ص:33.

[3]– صالح بلعيد، **في قضايا فقه اللغة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، دط، ص:128.

[4]– علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية**، ص:23.

[5]- عمار ساسي، **اللسان العربي وقضايا العصر**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م، دط، ص:85.

[6]- علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية**، ص:22.

[7]- عمار ساسي، **اللسان العربي وقضايا العصر**، ص:85.

[8]- محمد علي عبد الكريم الرويني، **فصول في علم اللغة العام**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دت، دط، ص:8.

[9]- الثعالبي، **فقه اللغة وسر العربية**، قرأه وقدم له وعلق عليه خالد فهمي، تصدير: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1418هـ/1998م، ط1، ج:1/ص:3.

[10]- الثعالبي، **فقه اللغة وسر العربية**، ج:1/ص:3.

[11]- محمد المختار ولد ابّاه، **تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ايسيسكو، 1417هـ/1996م، ط1، بيروت، 1429هـ/2008م، ط2 ، ص:561.

[12]- محمد فوزي أحمد بني ياسين، **اللغة: خصائصها– مشكلاتها– قضاياها– نظرياتها– مهاراتها– مداخل تعليمها– تقييم تعلمها**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، 2010م، ط1، ص:35.

[13]- علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية**، ص:22.

[14]- زكرياء مخلوفي، "**واقع اللغة العربية في عصر العولمة**"، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، ديسمبر 2014م، ع:21، ص:60.

[15]- عمر بن طرية، "**اللغة العربية وتحديات العولمة**"، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع:7، ماي2008م، ص:72.

[16]- عمر بن طرية، "**اللغة العربية وتحديات العولمة**"، ص:68.

[17]- زكرياء مخلوفي، "**واقع اللغة العربية في عصر العولمة**"، ص:61.

[18]- وافي صلاح الدين حاج ماجد، " **الاعتزاز بلغة الضاد ثقافة وممارسة**"، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية (اللغة العربية في خطر، الجميع شركاء في حمايتها) دبي، 30/27 جمادى الآخرة1434هـ الموافق ل10/7مايو2013م، ص:2. www.alarabiahconference.org

[19] - محمد فوزي أحمد بني ياسين، **اللغة**، ص:38.

[20]- علي أبو المكارم، **تعليم النحو العربي (عرض وتحليل)**، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م، ط1، ص:19.

[21]- روقاب جميلة، وحاج هني محمد، **قضايا لغوية ومسائل في التعليمية**، مكتبة رشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2016م، ط1، ص:104.

[22] – محمد فوزي أحمد بني ياسين، **اللغة**، ص:37.

[23]– روقاب جميلة، وحاج هني محمد، **قضايا لغوية ومسائل في التعليمية**، ص:119.

[24]– أحمد سليمان ياقوت، **ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم**، دار المعرفة الجامعية، مصر،2003م، دط، ص:35.

[25]– عباس حسن، **اللغة والنحو بين القديم والحديث**، دار المعارف، مصر، 1966م، دط، ص:252.

[26]– علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية**، ص:36.

[27]– أحمد محمد عبد الراضي، **إحياء النحو والواقع اللغوي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م، ط1، ص:7.

[28] – محمد فوزي أحمد بني ياسين، **اللغة**، ص:38.

[29]– وافي صلاح الدين حاج ماجد، "**الاعتزاز بلغة الضاد ثقافة وممارسة**"، ص:14.

[30]–محمد فوزي أحمد بني ياسين، **اللغة**، ص:15.

[31]– صالح بلعيد، **في قضايا فقه اللغة**، ص:133.

[32] – أسامة الألفي، **اللغة العربية وكيف ننهض بها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004، دط، ص:47/46.

[33]–عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، موفم للنشر، الجزائر، 2012م، دط، ص:164.

[34]– زكريا إسماعيل، **طرق تدريس اللغة العربية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005م، دط، ص:17/16.

[35]– روقاب جميلة، وحاج هني محمد، **قضايا لغوية ومسائل في التعليمية**، ص:101.